الفصل السابع

حمص وحواليها

طرق الوصول ـ السكك الحديدية، من طرابلس ١٠٢ كم و ٣٠٠م ص ـ من بيروت ١٠٥كم ص من حلب ٢٠١كم ص من دمشق ٢٠٨كم ص.

الطرق المعبدة ـ من طرابلس ١٠٥كم ص ـ من بريت (عن طرابلس ٢٠٢كم)، (عن بعلبك ٢٠٢ في التخطيط الجديد، ١٩١ في التخطيط القديم، ص.. من حلب ٢٠٢كم ص من دمشق ١٩٠كم ص.

حمص ـ مدينة سكانها ٥٥٠٠٠ كم أكثرهم مسلمون، إلا نحو ١٥٠٠٠ نصراني سوادهم الأعظم روم أرثوذكس وهي مركز محافظة تابعة لدولة سورية، وفيها محكمة صلح ومحكمة شرعية. وقد وقعت حمص وسط سهل أفيح خصب، علوه ٤٩٥م. وفي باب فرجة بين جبال النصيرية وجبال لبنان، وهذه الفرجة تساعد على بلوغ الساحل بسهولة مما جعل حمص سوقاً زراعياً ذات مكانة ومركز تموين للقرى والبادية المجاورة، ونقطة اشتباك السكك الحديدية (خط رياق ـ حلب وخط حمص ـ طرابلس). إلا أن الصناعة فيها قليلة الازدهار (نحو ٢٠٠٠ نول لنسيج الحرير)، وقد نال سكان حمص بين كل بلاد الشام شهرة ذات خاصية مفرطة أساسها التعصب. ولو أن نساء النصارى يخرجن متحجبات على الزي القديم. إلا أن طراز حياتهم مال إلى التبدل قليلاً.

ومدينة حمص منبسطة مستوية تمتد على هضبة غير متناهية. إلا أن أحياءها الحديثة تنمو وقد ازدهت بمكان للنزهة. أما الأبنية القديمة فذات منظر متجهم يبدو للرائي بشدة حين القدوم من دمشق أو من حماه. وهذا التجهم يعود بعض السبب فيه إلى لون الأحجار القاتمة التي تشاد بها مباني حمص، كما يعود أيضاً إلى قلة الماء والخضرة، وذلك لأن العاصي بعيد نحو كيلو متر، ويشرب سكان حمص من قناة اشتقت من العاصي تصفي البلدية ماءها. وفي مكان على العاصي اسمه ميماس تقام في فصل الصيف مقاوٍ في الهواء الطلق.

وفي حمص محطة للسكة الحديدية تبعد نحو كم يفد إليها كل يوم قطار واحد من حلب ودمشق وبيروت وطرابلس. وفي قرب هذه المحطة مطار للطائرات العسكرية. وفيها من الفنادق فندق المحطة، وفندق رغدان قرب دار الحكومة وثمة ثلاثة فنادق أخرى وسط أو تحت الوسط، وثمة من المطاعم الحسنة مطعم المحطة ومطعم الروضة، وثمة حول دار الحكومة عدة مقاهٍ أجملها مقهى الروضة وفيها من المدارس مدرسة التجهيز الرسمية (التي لم يبن لها دار خاصة بعد) ومدرسة الآباء اليسوعيين ومدرسة الروم الأرثوذكس ومدرسة البروتستانت الإنكليزية.

التاريخ: ولو أن حمص موجودة منذ أقدم زمان التاريخ إلا أنها لم تذكر للمرة الأولى إلا في عهد الرومان باسم Emejat ففي هذا العهد اشتهرت بكونها مسقط رأس الأكابال رئيس كهنة معبد الشمس وكان فتى، وهو الذي نصب فيما بعد إمبراطوراً في سنة ٢١٨، وقد منح الأكابال موطنه حمص امتيازات متنوعة أدت إلى ازدهارها الذي ازداد أيضاً بحكم موقعها الجغرافي.

إن الحجر الأسود في أمسا المسمى (إله الشمس) الذي اختص الإمبراطور المعتوه باسمه لنفسه، كان فيه نقوش بارزة ومحفورة جعلت في وقت واحد ذكراً وأنثى، وقد نقل الأكابال حجره المقدس إلى روما ووضعه قرب نارال، وبعد أن قتل مذبوحاً أعيد هذا الحجر إلى أمسا.

ولما استولى العرب على حمص سنة ١٥هـ ٦٣٦ جعلوها مركز منطقة إدارية، إلا أنها لم تلعب في التاريخ السياسي إلا دوراً طامساً ففي كل العصور المتوسطة كانت تحت سلطة أيدي أمراء عديدين، وبعد غارات المغول صارت تتبع لمدد قصيرة دمشق أو حماه وقد حافظت خلال القرن ٢٩ على مكانة ثانوية رغم الثورة التي حاولت بها أن تتخلص من حكم المصريين.

إن زيارة المدينة لا تبدي أي جاذبية خاصة، ولا تستدعي أكثر من ساعتين، فالزائر يمل بسرعة من منظر شوارعها الكئيب، ومن مبانيها التي يكاد يكون جميعها غير ذي طائل.

إذا غادر الزائر السراي يطلع الأسواق، وهي غريبة المنظر وحافلة، إلا أن أكثرها إمتاعاً هو سوق الحرير. وفي مدخل هذا السوق يوجد (الجامع الكبير)

الذي شيد مكان بيعة، ولكن ليس في عمارة هذا الجامع ما يستحق النظر سوى منارته الشيقة.

وإذا بعد الزائر عن الأسواق متجهاً نحو الشرق يسير في متاهة من الدروب الضيقة التي يكاد يتيه فيها، أو إذا سار في طريق دمشق لوحدها يبلغ القلعة.

وفي الزاوية الجنوبية الشرقية للسور الباقي من العصور المتوسطة يلحظ في خارج الخندق أطلال برجين أو مدفنين كشفتهما بعثة مسينل روبوس سنة ١٩٣٠، وهما برجان مربعا الشكل في وسطهما درج، طول ضلعهما نحو ١٠ أمتار، وهما من القرن الأول الميلادي. وإذا استمر سائراً نحو القلعة، يجد على بعد ١٠٠ متر نحو الشرق والجنوب الشرقي من المدرسة الإنكليزية بيتاً لأسرة النداف فيه مغارة تحت الأرض كانت كنيسة من القرن الخامس الميلادي، وفي قربها أطلال مدفونة لدير قديم.

أما القلعة التي في الطواف حولها من الخارج متعة، كانت تشغل فيما مضى قمة تل كغيرها من القلاع الكثيرة في بلاد الشام. ولكن قلعة حمص قائمة على ما يظهر فوق تل صخري، أي ليس فوق تل صناعي وقد خربها إبراهيم باشا ولم يبق منها سوى بضعة أبراج مهدومة كلها أو بعضها، وقد عثروا فيها على أنقاض تحصينات من عهود عريقة في القدم وفي ذروتها منظر جميل مشرف على المدينة وعلى السهول المحيطة بها وتحتاج زيارتها إلى رخصة من قائد الموقع العسكري في حمص.

ويمكن الوصول في الجنوب الغربي من القلعة إلى بقايا أحد الأبواب القديمة واسمه (الباب المسدود)، فإذا اجتاز الزائر هذا الباب يجد نفسه فوراً أمام رحبة فيها مساجد ومساكن قديمة ذات مزايا خاصة.

وإذا عاد إلى السراي يمكنه إذا سار نحو الشرق أن يبلغ باب تدمر، وذلك بعد اجتياز ممر، فيشاهد فيه مناظر ممتعة للسور القديم وإذا سار نحو طريق حماه يصادف على يمينه جامعاً كبيراً جديداً يحتوي على ضريح خالد بن الوليد فاتح سورية العربي، ولكن ليس في هذا الجامع متعة فنية.

وألطف أيام السنة التي تستحق فيها حمص الزيارة هي الربيع بسبب جودة هوائها في هذا الفصل وبسبب الأعياد الخاصة بها خلاله، وهذه الأعياد دينية

الصفات وذات مناظر شيقة جداً. وهي تجري خلال خمسة أيام خميس متعاقبة، آخرها يتقدم بانتظام يومين عن عيد الفصح لدى الروم الأرثوذكس.

الضواحي - ١ - مشرفة وسلمية (٢٠كم و ٤٨كم نحو الشمال الشرقي، طريق صالح للسيارات وهو جيد في الفصول الجافة). يخرج من حمص من طريق حماه الذي سيأتي وصفه وينحرف إلى اليمين عند أول شارع قرب جامع خالد بن الوليد الذي قبابه ومآذنه تظهر على اليمين ثم يتبع الجانب الذاهب إلى قرية دير بعلبة أما إذا كان الفصل ممطراً والأرض هناك موحلة فيخرج من باب تدمر فيجد فيه لحباً يخترق كروم حمص.

في الكم ٥ دير بعلبة، قرية مسلمة صغيرة يدل اسمها فقط على ماضيها. وعند الخروج منها يشاهد بضعة تلال ثانوية ثم بعد قليل يمر من سفح تل Ade وهذا يترك على اليسار وهذا التل أحد خط التلال الأسود وأقصاها للشرق وهذا يتبع قرب اللحب الذي تجتازه أما التلال الممتدة نحو الغرب فهي تل الباشا، تل الصغير، تل المجوز، تل الداب وخط الدفاع هذا المبني في الوادي كان لأجل الدفاع عن مدينة قطنا (المشرفة) من جنوبها الغربي.

٢ كم المشرفة - وهي القديمة تظهر هذه المدينة عن بعد بسورها المربع الشكل الذي دورته ٤كم بعد أن يجتاز السائر وادي الزورات فوق جسر، يدخل قرية المشرفة من الباب الغربي القديم للمدينة الأثرية. وهذا الباب مشيد بقطع رخام ضخمة يتجاوز حجم البعض منها أربعة أمتار مكعبة.

إن الحفريات قد جرت تحت نفقة كل من العهد الفرنسي ودولة سورية وقام بها الكونت دوبوليون بالاشتراك مع المسيو يلوا دوروترو.

وإذا ولج الزائر القرية ينحرف نحو اليسار - ولما كانت المدينة القديمة مترامية الأطراف (كيلو متر مربع) يحسن أن يظل الزائر في سيارته يتمكن من الطواف حول المباني، ثم يعود إلى القرية ليزور أولاً مصنع فيري وهو بناء مؤلف من رخام ضخمة كالتي ذكرناها في الباب الغربي، ومن ثم يبلغ النشز الذي عليه الكنيسة حيث تعمل الورشة الكبرى للحفر. وكل هذا القسم من القرية مع نشز الكنيسة كان يؤلف المدينة الملكية أو المدينة الداخلية الحاوية على أهم المباني.

أول ما يصل الزائر في الخرائب إلى الباحة الأمامية أو حرم هيكل نيكال فيجد باحة مكشوفة واسعة معدسة أرضها بباتون من الأصل يحيط بها جدار من الآجر المشوي (اللبن) وثمة على اليمين أي في الجهة الغربية يلحظ أرض بناء البحيرة المقدسة المخصصة للآلهة وهذه الأرض هي باحة مكشوفة ثانية مربعة الشكل كانت محاطة من أصلها بأربعة أعمدة ضخمة جداً لا تزال أسس الثلاثة منها موجودة وفي وسط هذه الباحة خابية مدورة من حجر البازلت تقوم مقام الحوض، وأمام المعبد يوجد أنقاض حوض ثانٍ مزدوج ومربع الشكل ومن حجر البازلت أيضاً.

ويعود الزائر إلى الباحة الأمامية حرم الهيكل الوحيد فيجد في الزاوية الشمالية الشرقية (أي في المنتهى وعلى اليمين) المعبد الأصلي لنيناكال. وهذا المعبد عبارة عن سور مستطيل الشكل كان محاطاً في الأصل ببلاطات منحوتة لا يزال اثنتان منها موجودتين في الجهة الشرقية. وإذا مر من بين هاتين البلاطتين يدخل قدس الأقداس الخاص بنيناكال وهو عبارة عن حيصة ضيقة مرممة.

(إن قدس الأقداس هذا من الطراز السومري، وهو مثل كل هيكل، يعود فيما يظهر إلى الأسرة الثالثة من حكام أور (سنة ٢٢٠٠ ق.م). وكان على ثمة سجف صفين من الجوخ الفاخر أو من خشب الأرز، يسد المدخل ويجعل جوف البناء مظلماً. ولم يكن ليسمح بدخوله إلا للكاهن الأعظم، وقد عثر على المصباح الذي كان يستعمله هذا الكاهن على الأرض المعدسة بالباتون وعثروا حوله أيضاً على اثني عشر لوحاً مكتوباً تحتوي بالحروف المسمارية على قائمة موجودات هيكل نيناكال (سيدة قطنا)، وهيكل أرباب الملوك، ولا شك لأن هذا الهيكل الآخر هو في المكان المرتفع الذي سيأتي ذكره، وقد قرأ المسيو هذه الألواح ومنها كشف للمرة الأولى اسم المدينة والهيكل.

ثم يرجع الزائر إلى الباحة الصغيرة المسورة التي تكون أمام المعبد فيرى في شرقه باب الهيكل المحصن بمدخل فخم ذي واجهات أربع وهو من الآجر غير المشوي، ففي اليسار كان ولا ريب موضع تمثال عظيم موضوع ضمن كنيسة لم يبق من آثارها سوى جدران الأساس من الآجر.

وبعيد ذلك المكان إلى الجنوب أطلال مبانٍ أقل قدماً من الهيكل ذات مستوى أعلى منه بمقدار وثمة بيعتان مربعتان تتصلان في الشرق وفيهما أدنان من الحجارة المبنية، وكلاهما متشابهتان تشابهاً تاماً ويلحظ أن الأرض المعدسة بالباتون ذات انحدار وأنه هنالك لطخات من الدم قد ظلت آثارها على حواجز الدن الذي في قعره مصطبة وقد حسب هذا الترتيب من البناء أنه مخصص إلى الاحتفالات للعهد المدري أي إلى الثور المخصص للضحية الذي يتبعه تعميد بها لدمه.

وبعد زيارة مكان التضحية يجتاز الباحة الصغيرة المسورة العارض ذي الخط الموصل بين الزوايا فيبلغ هيكلاً مختلفاً عما قبله كل الاختلاف. وهو المكان الأعلى أو (البيت المرفوع) ويدخل إليه من الزاوية الشمالية الغربية ومن غرفة متوسطة.

(إن هذا المكان الأعلى) أو (البيت المرفوع) يمثل الشكل الابتدائي الأصلي لمعابد الأمم قبل السامية، وقد كانت هذه المعابد في الأصل مؤلفة من نصب واحد أو أنصاب عديدة أو من أحجار مقدسة منصوبة فوق نشز أو جبل مظلل بشجرة، وقد انقلبت الشجرة فصارت آلهة أنثى، وانقلب النصب أو الأنصاب فصارت آلهة ذكوراً. ويعتبر التوراة هذه المعابد وثنية. ويظهر أنه ينبغي تمييز النموذج الكنعاني (في فلسطين) عن النموذج السومري الممثل هنا. فالأول كان يؤلف بقصد الضحايا المهيئة للذبح، والثاني كان يخصص لأجل الغسل ولأجل الضحايا غير المعدة للذبح. ويظهر أن (البيت المرفوع) في قطنا قد ذكر في الألواح (الرقم) ذات الكتابات المسمارية باسم هيكل آلهة الملك والمذبح ذو الحفر المدورة المحفورة الذي يذكر بالحفر الابتدائية المنقورة في الصخر، كان يستعمل كمنضدة للنذور وكانوا عثروا على قطعة من البرونز الصيلامي ظهر لنا فيه ملك يتقدم للصلاة في طلوع الشمس في معبد من هذا الطراز.

إذاً المكان الأعلى في قطنا يتألف من سور أولي مركب من جدار من اللبن يحيط بأرض معدسة مستطيلة الشكل وثمة دن مدور كان مخصصاً للغسل، وفي الجنوب الشرقي سوران صغيران مربعا الشكل كانا في البدء محاطين لا يزال يرى فيها مواقع الأقدام (شقوق مستطيلة نحو ١٢ سم) فالسور الأيسر ليس له إلا في ثلاث

جهات، بينما هو مسدود من الأمام بمذبح ذو حفر مدورة من طراز راق جداً (حجر مستطيل ذو إحدى عشرة عقدة) أما من الخلف فيوجد دعامتان من الحجر المبني مازالتا قائمتين ولا يعرف ما إذا كانا يمثلان الآلهة أو كانا يسندان تماثيل آلهة.

والسور الأيمن كان يحتوي على جذع الشجرة أو الآشيرا وقد وجدت القاعدة (الرجل) في المكان نفسه وكان خراب المعبد بتأثير صاعقة انقضت على الآشيرا.

ومن المكان الأعلى ينتقل الزائر إلى بهو الجرار أو الخوابي في الشرق. ففيه يرى الزائر أنقاض مخزن كان فيه نحو أربعون خابية مخزونة باسم الهيكل أو باسم القصر، ثم يرى الباحة الأمامية أو الباحة الشمالية مع بحرة مدورة من الحجر الحري قد نفذت في الأرض وكانت في الأصل محاطة بسور.

وإذا دار إلى اليمين أي إلى ناحية الجنوب يلحظ قاعدتي دعائم متجاورة وخابية مدفونة في الأرض حتى العنق، ثم يجتاز (بهو الصلاة) الأسود الذي اكتشفت فيه قطع أثرية مهمة ورأس كبش من البرونز وغيرها، وعلى اليسار بهو الحصر (جمع حصير) وهو يستحق النظر لما فيه من الزوايا، وقد ظلت آثار الحصر في أرض هذا البهو حتى اليوم.

ويلقي الزائر نظرة إلى اليمين نحو (بهو الإناء الكبير) الذي فتك به الحريق معظم فتكه حتى أذاب صخور البازلت ثم يعود أدراجه نحو (بهو الحصر) ويمر إلى اليمين ليلج (بهو العرش الكبير) وثمة .. مصطبة أو مرتبة ظلت في شماله حتى الآن ومنها كانت تسميته.

وينبغي ألا ينتهي الزائر من زيارة المباني التي على نشز الكنيسة دون أن يصعد فوق قدس الأقداس العائد لنيناكال، حيث يجد منظراً يحيط بجميع آثار المشرفة، وفي شمالي نشز الكنيسة صخر منحدر قد طمرته الأتربة يمر به الزائر، وهذا المنحدر ما هو إلا سطح منحدر لسطح صناعي. فالهياكل والقصر قد تمركزت في الواقع على هضبة من الأجر غير المشوي.

وهنا يمكن أن يعود لركوب السيارة ويطوف حول الأسوار. إلا أنه إذا كان يرغب استئناف السير من ثم نحو سلمية يمكنه أن يؤجل هذا الطواف إلى حين السفر فيذهب مباشرة نحو (قبة لوط).

وإلا يمكنه أن يخرج من المدينة من بابها الشمالي، تاركاً بساتين المشرفة على يساره فيتسنى له أن يطوف حول السور الشمالي من الخارج بين الخندق ومرتفع التراب، ثم يدور إلى الزاوية الشمالية الشرقية (بناء كارمون كانو على اليمين) فيدخل ثانية إلى المدينة القديمة من بابها الشرقي، ثم يقف على بعد نحو مئة متر لينزل ويصل ماشياً على قدميه إلى (قبة لوط) التي تحسب أنها ضريح أحد ملوك قطنا.

وثمة سراديب وآبار صالحة للاجتياز والوصول نوعاً ما توصل حتى وسط القبة (لابد من رفيق). وتحت التليلة الحجرية يوجد مصطبة مدورة من الآجر غير المشوي دون غرفة داخلية.

ثم يعود لركب السيارة ليصل إلى البيت الذي تقيم فيه بعثة التنقيب . ويترك على يمينه ويساره عدة ورشات للتنقيب. وأجلها شأناً تلك التي في الباب الجنوبي، ففيها أطلال مباني الدفاع ودور السكن وفيها مما يستحق النظر غرف الوضوء والاغتسال وهي شبه آبار معدسة وفي خارج الباب منظر جميل نحو الأسوار والخنادق.

ولأجل الذهاب نحو سلمية يخرج من الأسوار من الباب الشمالي . أطلال غير ظاهرة لخربة (الشباك) ـ ٢٨كم تل عمري . قرية شركسية في بطن الوادي . ٣٨ كم، يمر من بين قريتي شكارى ويرى فيها التلول التي كانت بلا ريب القديمة، ٤٨ سلمية ٢ . بحيرة حمص ذكرت في من حمص إلى تدمر عن طريق الفرقلس، ص إلى دمشق ص إلى بيروت.

من حمص إلى حلب

بالسكة الحديدية ٢٠١كم، في كل يوم قطار إلى حلب ومنها، والمدة في القطار ٤,٥ ساعة تتجه السكة الحديدية نحو الشمال . في الكم ١٥,٦ تل بيسة (علوها ٤٥م) ومن ثم يدخل في البقعة البركانية المسماة (أبو عر)، ثم تعبر السكة نهر العاصي، ثم تعبر أحد روافده . في الكم ٣,٧٠ حرب نعسا (علوها ٣٧٨م) ويظل القطار سائراً في سهول الوعر الملأنة برجوم الأحجار البركانية، أو تمر بقرية دير

الفرديس (على اليمين) وبيرين (على اليسار) ومناظر هذه القرى كئيبة متجهمة . في الكم ٤٥,٦ كفر لهم (٣١٨م) على اليمين تقع القرية وهي ذات دور حجرية سوداء مزخرفة، وفي وسط القرية كنيسة . ومن ثم ينسد الأفق الشرقي على يمين السائر جبل العلا، وينتصب في الشمال جبلا قرون حماه.

في الكم ٤٧,٤ حماة (علو ٣٠٧م) سيأتي وصفها . ويدور الخط الحديدي حول المدينة فيشاهد الراكب أحياءها القريبة من القلعة ورياضها الممتدة في وادي العاصي . ثم يجتاز القطار نهر العاصي فوق الجسر الحديدي قرب قرية كازو.

ومن ثم إلى أن يبلغ حماة تمتد سهول شاسعة حالية ومطردة المناظر، وقد يصادف هنا وهناك بضعة قرى ذات بيوت من القباب المخروطية . في الكم ٧١,٦ قمحانة (٣٢٨م) في الكم ٨٥,٧ كوكب (٣٤٥م) في الكم ٩٩,٩ الحمدانية (٣٥٠م) في الكم ١١٥,٥ أم الرجيم (٤٣٤م) في الكم ١٣٠,٥ العوجا (٣٨٢م) في الكم ١٤٢,٧٠ أبو الظهور (٣٥٢م) ومن ثم يصير السهل مرزغياً ويدعى (المطخ) . في الكم ١٥٥,٣ تل حينة (٢٤٥م) في الكم ١٧٢,٢ الحميدي (٣٠٢م) في الكم ١٨٧,٦ الوضحي (٣٢٦م)، وهنا يظهر وادي نهر قويق وفيه قليل من البساتين والأشجار، وبعد قليل تبدو قلعة حلب بغتة، ثم تبدو مآذن حلب من بين بساتينها (وهنا منظر جميل) على اليسار طريق حلب إلى إنطاكية يشرف عليه مشهد الدكة (شيخ محسن) ومشهد الحسين . في الكم ٢٠١ حلب.

أما الطريق المعبدة فطولها ٢٠٢ كم، وهي جيدة وفي سهول قليلة التموج يخرج من حمص من شمالها من قرب جامع خالد بن الوليد ويدخل في سهل مترامي الأطراف. منبسط كل الانبساط مزروع أو محروث . وقد جرت في هذا السهل معركة طاحنة سنة ١٢٨١/٦٥٩ بين السلطان قلاوون والمغول، كانت الدائرة عليهم. ويوازي الطريق المعبدة السكة الحديدية خلال بضع دقائق.

في الكم ١٢ تلبيسة . على اليمين، قرية كبيرة، قسم منها فوق تل أثري وفي هذه القرية يجد القادمون من الجنوب إلى هذه الأنحاء للمرة الأولى نموذج المساكن الخاصة بشمالي الشام وغربي والجزيرة. فكل بيت مؤلف من غرفة مكعبة الشكل تعلوها قبة على شكل قالب السكر المخروطي، مبنية من اللبن، ويدخل

إلى البيت من باب واطىء. وهذا النوع من البنيان الذي لا حاجة لاستعمال الخشب فيه كان مستعملاً في بلاد آشور ومصر القديمة. وبعد تلبيسة يهبط الطريق نحو العاصي من وادٍ انحداره شديد.

في الكم ٩٢١ الرستن، قرية كبيرة فوق الأكمة الناتئة كعرف الديك التي على يمين الطريق، القديمة وقد كان فيها أمراء عرب في عهد الفتح الروماني. وبقعة الرستن من أكثر البقاع لفتاً للأنظار في طريق حمص ـ حلب، لأن بيوت القرية المبنية جميعها من حجر البازلت تصطف على ذروة المنحدر الصخري للأكمة، وتجد نساء هذه القرية اللواتي يلبسن فساتين زرقاء وسراويل حمراء يهبطن من ذلك المنحدر، ثم يتوغلن أطراف الخط كله لإملاء الماء ـ ثم يعبر الطريق العاصي فوق جسر عربي قديم، وبعد الجسر سد أثري، وعلى يمين الجسر خان قديم ذو جدران متعددة الألوان، وثمة ناعورة، وثمة إلى الوراء منظر جميل نحو الرستين ثم تصعد الطريق نحو هضبة صخرية، ثم تعود للتدرج في السهل، ومن هنا ليس من شيء يستحق النظر حتى يبلغ حماة.

في الكم ٥٤ حماة ـ وفيها محكمة بداية وحاكم صلح ومحكمة شرعية، وهي إحدى المدن الهامة في سورية الداخلية، وعدد سكانها، بما فيه سكان القرى عمل قضائها، نحو ٥٥٠٠٠ منهم ١١٠٠٠ نصارى، وحماه، مثل حمص، قد حفظت مكانتها بحكم أن فيها سوقاً للبدو الرحل ومركز صناعة الحرير (وقد انفردت هي بالمنسوجات الحريرية والقطنية، لاسيما بمناشف الحمامات ونسيج الأقمشة القطنية أو الكتانية، وهذه تصدر أحياناً في غاية الجودة، ثم أن حماة هي المدينة السورية التي يوجد فيها أطايب الخيول الأصيلة، وإقليم حماة يا للأسف حار ورطب بحكم وقوعها على شاطئ العاصي في قعر وادٍ سحيق مسدود الجهتين (علوها ٣٠٨م) بين آكام مرتفعة، وفي الصيف ليس من النادر أن تكثر فيها حمى البرداء كما هو الحال في بقية وادي العاصي المتجه نحو سهل الغاب، ولذلك يكون من الاحتياط أن ينام المرء تحت الكمة. وفي حماة دواليب خشبية كبيرة تدعى (الناعورة) تجرف الماء من العاصي ومنها يشرب سكان حماه.

المحطة، تبعد نحو ١كم. (الفنادق): أحسنها فندق أبو الفداء الذي شيدته البلدية أخيراً، ويوجد فندقان من الدرجة الثانية أحدهما في الموقف والثاني تجاه فندق أبي الفداء، (المطاعم): وفي هذه الفنادق مطاعم لكنها لا تعجب، والتي في الأسواق أدهى وأمر (الحمامات): وفي حماه حمامٌ جميل ونظيف، (المصارف): وهي مصرف سورية ولبنان (المكاتب): مكتبة الشيخ طاهر النعسان . (المدارس): مدرسة التجهيز الرسمية، وقد بني لها في سنة بناء كبير صالح وثمة مدرسة للروم الأرثوذكس، ومدرسة أهلية ابتدائية (دار العلوم) في بيت العظمة الأثري. (المعابد): في حماه ٤٤ مسجداً، وكنيسة الروم الأرثوذكس، ومعبد للبروتستانت.

التاريخ . حماه مدينة قديمة جداً، سكنها الحثيون مدة من الزمن وفي القرن التاسع ق.م تحالفت مع مملكة دمشق الآرامية لوقف غارات الآشوريين، إلا أنها غلبت وجعلها صارغون إحدى ولاياته. وفي عهد السلوقيين جعلوا اسمها على شرف انطيو حوس اپنفان الرابع، ثم افتتحها العرب سنة ١٨/٦٣٩م ثم استولى عليها الصليبيون سنة ١١٠٨ ثم استردها المسلمون سنة ٥٠٩/١١١٥، ثم خربتها الزلزلة سنة ٥٥٢/١١٥٧ واستولى عليها صلاح الدين سنة ٥٧٤/١١٧٨ وفي العصور العربية المتوسطة تعاورتها أيادٍ كانت تنتقل من يد إلى يد، ولم تلعب دوراً يجعلها ذات مكانة. وازدهار حماة لم يبدأ إلا في عهد الأيوبيين. فقد أعطى صلاح الدين حماه إلى أحد أبناء أخيه. وقد توفق أعقاب هذا إلى حفظ حماه وجعلها مملكة ممتازة تحت سيادة السلاطين المماليك المصريين حتى سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢ وفي عهد الترك ظلت حماه مدة مركز باشوية، لكن لم تزد مكانتها عن أنها مدينة مقاطعة صغيرة.

إن حماه هي أكثر كل مدن سورية الشمالية جاذبية وأقلها تأثراً من الغرب. والشروط المادية لإقامة الغريب وإن كانت غير مرضية إلا أنه يمكن أن يقضي فيها بضعة أيام دون ملل. فوضع المدينة الجغرافي والشكل الأثري لمبانيها التي لم يتخللها أي بناء حديث، وأزياء سكانها كل ذلك قد جعل لحماة منظراً فوق الوسط يماثل ما هو موجود في حلب، بيد أن نداوة ولطافة رائعتين بحكم خضرة رياضها الممتدة على ضفتي نهر العاصي، والألوان الزاهية في دورها، والضجيج المتوالي الصاعد من

نواعيرها. ومع هذا فحماة مدينة قليلة الترحاب، شديدة الإعراض عن الأجانب، ويعد سكانها متعصبين والحالة الاجتماعية فيها تذكر عهد الإقطاع. وحماه مثل أكثر مدن الشام لا يفيد فيها ركوب المركبة، فضياع الوقت يكاد لا يذكر، ناهيك أن الماشي يتملى أكثر بمشاهدة الطرق.

إن الأحياء المبنية على ضفة العاصي اليسرى هي أكثر اتساعاً وإمتاعاً. فإذا بدأ سيره من جسر السراي، يمكن أن يقطع الشارع العريض الممتد شمالاً في موازاة نهر العاصي. وبعد قليل يصير من تحت قناطر ناعورة كبيرة، وبعدها حالاً يجد على يمينه مدخلاً فخماً قديماً ١١٨٨/٥٨٤ نصفه مطمور، ثم يسلك الشارع الذي في اتجاه من جهة المدخل ويعقب منعطفاته حتى يبلغ قصر بيت العظم (أجرة الدخول ٢٥ ق.س، وثمة مجموعة صور شمسية لهذا القصر تقدم للزائر) وهذا القصر هو المسكن القديم لأسعد باشا الذي حكم حماه حتى سنة ١٧٤٢/١١٥٥ وهو الآن مقر مدرسة دار التربية والتعليم وهذا القصر أقل بهاء من قصر دمشق وله فناءان أحدهما فوق الآخر، لهما شيء من الصميمية. وفي الفناء العلوي بهو قاعة ذات قبة أمامها صف من الأعمدة ونجارة الخشب فيها ١٧٧٨/١١١٢ حافلة ومتفتة. إلا أن الغرفة المجاورة قد حفظت برسوم أنيقة من القرن ١٨ إحداها التي على اليمين تمثل منظر حلب.

والروعة الأصلية لبيت العظم هذه في موقعها. ففي الأسطحة التي تعلو القاعة منظر غاية في الإبداع نحو ضفاف العاصي والأحياء التي على يمينه.

وبعد أن يغادر بيت العظم يسلك الشارع متجهاً نحو الشمال فيمر من قرب ناعورتين كبيرتين جداً ومزدوجتين، ثم يمر من تحت ساباط ينحرف في منتهاه نحو اليمين، فيجد نفسه فوق جسر على العاصي (وثمة ثلاث نواعير) وهناك على الضفة اليسرى بيت الكيلاني ذو القبة، وهم يؤلفون الأسرة الوحيدة في حماة المنحدرة من القديس الإسلامي عبد القادر الكيلاني. وعلى الضفة اليمنى قبة بيت العظم، وفي المجرى الأسفل للعاصي منظر جميل نحو البساتين، وعلى اليسار حمام عربي قديم وإذا عاد أدراجه وصعد في الشارع يمر من أمام جامع النوري (١١٧٢) وفيه منبر بديع الصفة من الخشب المنقوش، ومئذنته ذات الخطوط البيض والسود ممتازة بين كل مباني حماه، وبعده يبلغ التل الذي كانت قلعة حماة قائمة فوقه.

لم يبق من أطلال هذه القلعة سوى كسور من أحجار البناء ومن الجدران المبنية باللبن وجميعها تعود إلى عهود عريقة في القدم. ومن ذروة تل القلعة منظر جميل نحو المدينة وضواحيها ـ وأنسب وقت للصعود إليها هو العصر بسبب الاتجاه.

وإذا استمر على نفس الاستقامة يمر من أمام مسجد صغير له قبة (مضلعة) ذات نتوءات متطاولة بارزة وهو يدعى مسجد الحسنين، وفيه كتابة تذكر الزلزلة الهائلة التي حدثت سنة ١١٥٧/٥٥٢، ثم يبلغ فوراً إلى تحت المئذنة الرشيقة المثمنة الأضلاع التي تعلو مدخل الجامع الكبير.

وهذا الجامع ـ هو كغيره من الجوامع الإسلامية الكثيرة ـ كان كنيسة قديمة مقلوبة عن معبد وثني أقدم منها ولا يزال يرى في حرم هذا الجامع الذي يحتوي على منبر من الخشب المنقوش من العصر ١٥ بقايا البازيليكا النصرانية والهيكل الوثني الذي تقدمها، وفي الصحن يوجد ـ كما في المسجد الأموي في دمشق بناء صغير مرفوع على أعمدة كانت تحفظ فيه الخزينة.

وإذا استمر في سيره في نفس الشارع، ثم دار نحو اليمين يجد نفسه فوق العاصي قرب ناعورة كبيرة تدعى (المحمدية) مبنية في القرن ١٤، لأجل إيصال الماء إلى الجامع الكبير وإذا عبر الجسر وفوقه طاحون قديم يبلغ من طريق يمر وسط البساتين (جامع الحيات) وقد سمي بذلك لوجود أعمدة تزين نافذة في حرم هذا الجمع، وأبدان هذه الأعمدة مؤلفة من طرائز ملتوية كالحيات.

وفي شمالي حرم الجامع قبة مضلعة ذات مئذنة يوجد تحتها ضريح المؤرخ والجغرافي العربي الشهير أبو الفداء سلطان حماة (١٣١٠/٧١٠ ـ ١٣٣٢/٧٣٣). وليس في بناء هذا الجامع أي متعة فنية ولكن منظره من جهة الجسر المجاور له وشبحه الأنيق المنعكس على ماء العاصي، والبساتين النضرة المحيطة به تجعله من أجمل أماكن حماه.

ومن جسر جامع الحيات يمكن أن يبلغ المدينة إذا سار بمحاذاة تل القلعة، ثم اجتاز الأراضي الخالية التي تمتد أمامها فيصل فوراً إلى مدخل أسواق لا تقل عن أسواق دمشق وحماه حركة، وجلبة واحتفاظاً بطابعها الأثري.

ضواحي حماه (مصياف) ٤٥كم الجنوب الغربي - إليها طريق صالح إلا في فصل الأمطار تصعد السيارة من حماه في منحنى كبير من قرب باب طرابلس حتى تبلغ محطة السكة الحديدية، وتمر من أمام مقابر واسعة، ثم تلج سهلاً فقيراً وقفراً في الكم ٥ على اليسار. على بعد ٧ أو ٨ كم يلمح جبلين أدكنى اللون وأجردين. في الكم ٩ حوش مزرعة كبيرة أصفر اللون محمره وذو سطح خشبي أو ستور بألواح التوتيا التي تغطى النوافذ. في الكم ١٨ جسر ذو ثلاثة قناطر على نهر الصاروت، يشرف عليه تل، يهبط الطريق خلال ٣٠ دقيقة في منعرجات بسيطة ويحاذي في سيره مسيلاً. في الكم ٣٩ يقاطع الرصيف الروماني الممتد من أفاميا إلى مريمين. ثم إلى اليسار (نحو الجنوب) وعلى بعد يلمح قرية ربعو وقبلها ضريح في السهل. (ربعو في موقع قديم جداً، ذكر في عهد الآشوريين، وربما كانت القديمة قلعة لوباما حيث أقام فيها آسور نازيربال حينما اجتاح مملكة لوقوتي، وفي هذه القرية ضريح مقدس له فتحة تذكر الروايات أنه لا يلجها (ينفذ منها) إلا رجل واحد ذو ضمير مرتاح.

يغادر على اليسار معسكر الجيش ثم مفرق طريق لحب مريمين وفي الكم ٤٥ مصياف.

ثانياً شيزر وخرائب أفاميا (٢٣ و ٤٥)كم نحو الشمال الغربي - في لحب).

يحسن أن يقوم السائح بهذه الجولة في فصل جاف، لأن الطريق الذي إنما هو لحب بسيط في أراضٍ معدة للحرث يكون الاجتياز وقتئذ. أما في الشتاء فهناك خطر الغرز في مخاضة نهر الساروق أو وادي الجفار.

يترك الطريق حماه نحو الغرب ويجتاز السكة الحديدية قرب محطتها من ممر في مستوى الأرض ثم يدخل في سهل عظيم خصب قد سد أفقه بآكام ناتئة شجراء من سلسلة جبل النصيرية.

في المصلبة الأولى يسلك اللحب الأيمن ويجتاز بعده بقليل من أمام قرية شيحاذ التي لبيوتها شكل القباب المخروطية (الكم ٥) وبعد مسير طويل تطرد المناظر وسط أراضٍ مزروعة، يهبط فجأة وادي الساروت أحد روافد العاصي فيعبره من مخاضة (في الكم ١٢) على مقربة من جسر عربي قديم، ثم بعده بقليل يترك على اليمين (في الكم ١٤) لحب قرية محردة، وهي قرية كبيرة نصرانية يلمح بيوتها ذات

الأسطحة المنتشرة بين كروم العنب ثم تصير الأرض صخرية وتنحدر نحو الوادي وتسير بمحاذاة جدار صخري على يمينها، وفي منتهى هذا الجدار الصخري قامت (قلعة شيزر).

في الكم ٢٣ سيجر، شيزر قديما.

التاريخ: إن مكان شيزر ينطبق على (موقعها) قديماً حيث قلعتها تمثل قسم المدينة الأعلى، وفي العصور المتوسطة كان حصن شيزر في ملك أسرة عربية تدعى (بني منقذ) استخلصته من يد البيزنطيين في أواخر القرن ١١ وفي أول عهد الصليبيين قامت شيزر بغارات عديدة على إفرنج أفاميا، وهذا ما حدا بهؤلاء أن يشيدوا في الجبل المناوح لشيزر مرصداً يخبرهم كلما رأى حركة خروج من حامية شيزر وفي سنة ١١٠٨/٥٠٢ قدم تنكر يد نفسه إلى أمام قلعة شيزر، إلا أنه لم يستولِ عليها، ثم عقدت معاهدة بين أمراء شيزر والإفرنج في سنة ١١٠٠/٤٩٤ ونشأت علاقات صفاء بينهم، وفي سنة ١١٣٨/٥٣٣ أوقفت شيزر ٢٤ يوماً حصاراً شديداً للغاية قام به البيزنطيون، وجاؤوا وقتئذ بأعظم ما لديهم من آلات الحصار وأجودها، ولما أخفقوا أرادوا الرجوع لم يستطيعوا حملها لثقلها فأحرقوها أمام القلعة وفي سنة ١١٥٧/٥٥٢ خربت قلعة شيزر بزلزلة حماه الهائلة ومات وقتئذ كل أمراء بني منقذ تحت الهدم وكان بقي منهم سالماً أحدهم المسمى (أسامة)، ترك آثاراً سرد فيه ترجمة حياته بأسلوب مذكرات.

وقد حاول الإفرنج ثم الإسماعيلية أن يحتلوا خرائب شيزر، إلا أن نور الدين طردهم، ثم رمم القلعة وسلمها للحاكم، وفي سنة ١١٧٠/٥٦٦ خربت ثانية بزلزلة أخرى وفي سنة ١٢٦٠/٦٥٩ جاء الملك الظاهر بيبرس ورمم شيزر كما رمم في الوقت نفسه قلاع ومدن دمشق وبصرى وبعلبك وحمص وأقام فيها حامية من الجند المماليك، وفي زعم المؤرخين أن البقايا الحاضرة في هذه القلعة يمكن أن تنسب إلى نور الدين أو إلى بيبرس أو إلى كليهما. وخرابها البطيء الذي يدوم حتى يومنا هذا قد بدأ فيما يظهر من قبل الفتح العثماني.

لم يبق من أطلال المدينة القديمة إلا ما ندر كتيجان أعمدة وقواعد أعمدة وتعود الخرائب الحالية منها إلى العهد العربي (القرن ١٢ ـ ١٣) والقلعة، التي تبدلت

المدينة العليا التي كانت فيها في العصور المتوسطة بضيعة حقيرة، تستطيل فوق عرفة صخرية تمتد من الجنوب إلى الشمال وتشرف من علو أربعين متراً على السهل المجاور لها، وهذا الشكل المتطاول هو الذي جعل العرب يسمونها بعرف الديك، وفي الجانب الشرقي من الأكمة يجري نهر العاصي وسط مضيق كهف ضيق بعد أن يخرج من منعطف حاد، وفي جنوبها خندق عميق منخفض وسط الصخر قد نحى القلعة عن الأرض المجاورة. وفوق هذا الخندق قد قام صرح القلعة.

يصل الزائر إلى القلعة من شمالها بعد أن يجتاز جسراً حجرياً قد مد فوق واد ضيق وعميق. إن هذا الجسر الذي قام مقام الجسر النقال الذي كان في العصور المتوسطة قد حمل فوق طبقتين من القناطر. ولما كان انحدار أرضه شديداً فقد مد فيها مدارج حجرية مؤلفة من بلاطات كبيرة، وجعل على جانبيه درابزين قد تهدم نحو نصفه.

إن مدخل القلعة ينفتح ضمن قسم بارز (باشورة) مربع الشكل، مبني برخام ضخمة منحوتة نحتاً محدوداً وعادياً. وحشي بين هذه الرخام قطع من أبدان الأعمدة لتشد ارتباط بعض المداميك ببعض وفي جوف فجوة قد رسمت داخل قوس منكسر، ينفتح باب ذو عتبة مستقيمة وفوق هذا القوس كتابة عربية طويلة قد نقشت على أحجار الجدار الظاهرة (أحجار التصفيح) وفوق الكتابة بقليل ينفتح زغلولا نافذة مربعة الشكل. والطابق الأعلى من الباشورة نافذة أخرى مربعة، لا يزال يعلوها زافرتا شرفة وقد كانت هذه الشرفة تحرس المدخل. وقد هدم البرج حتى وصلت إلى مستوى الزافرتين المذكورتين.

وعلى اليمين قام كتلة هرمية الشكل من الحجر المبني أقسامها العليا مهدومة وقد كانت مخصصة لحراسة الجسر وثمة فيها درج مختبىء.

وتحت باشورة المدخل ممر معقود ينفذ إلى الساحة المكشوفة للقلعة، وقد امتلأ معظمها ببيوت الضيعة وثمة شارع بين هذه البيوت يأخذك إلى الطرف الجنوبي للقلعة حيث (الصرح).

وهذا الصرح قد أقيم في أضعف نقطة من نقاط الدفاع فوق الخندق الذي تقدم ذكره، وجعلت وظيفته كالصيصة وقد بُني بعناية خاصة، فأحجاره من الرخام

المنحوتة نحتاً محدوداً وهي هنا أضخم واعمق عملاً من رخام الباشورة، وفي عرض جدرانه حشيت قطع كثيرة من أعمدة الروابط وذلك لتزيد انضمام الأحجار الداخلية بأحجار التصفيح، وشكل هذا الصرح موشور ذو وجوه مستطيلة وله في جبهته الشمالية بروز قليل، وفي جانب هذا البروز ينفتح المدخل، ومن هذا المدخل يصل الزائر إلى طابق تحته غرف معقودة لعلها كانت مستودعات مؤونة أو صهاريج ماء، وثمة درج يصعد من الطابق المذكور إلى طابق ثانٍ، ومن هذا إلى السطح وفي الطابق الأول غرفتان كبيرتان للرمي لهما عقود ذوات زوايا بارزة، وتستند هذه العقود على دعائم ضخمة ذات مقاطع مستطيلة، ويحتوي الطابق الثاني على الأوضاع ذاتها ومن السطح يشرف الناظر على منظرة رائعة على مجرى العاصي وعلى السهل، وهناك ناعورة تدور قرب الجسر القديم (جسر بني منقذ) الذي كان مركباً تركيباً يساعد على الدفاع وكانت مكانته السوقية مهمة جداً. بعد مغادرة سيجر يعبر العاصي ويدخل في أراضٍ محروثة.

في الكم ٢٨ في سفح تل صغير اسمه تل ملح قرية بيوتها أكواخ من القصب، حدثت فيها في عهد الصليبيين معارك عديدة بين إفرنج أفاميا ـ والمسلمين ـ في الكم ٣٢ شيخ حديد ضيعة بيوتها أكواخ، تحيط بها بضعة أشجار وتقع على ذروة عرفة صغيرة وعلى يسار الطريق يلمح عن بعد قرية الصقيلبية التي لبيوتها قبب ذات سطوح، وهي قرية نصرانية كبيرة شيدت فوق نشز من الأرض على سيف الغاب، ثم يلمح السائر أمامه الجدران السمراء ذات الانعكاسات المذهبة لقلعة المضيق، وهي في سفح الأعضاء الأولى لجبل الزاوية، ويستدل عليها من معبد صغير ذي قبة، في الكم ٤٠ الجرنية وهنا يترك على اليسار لحباً يتجه نحو الجنوب ويصل إلى مصياف ثم يهبط فوراً المنحدر الصعب لوادي الجفار، وفي قعر هذا الوادي يجري ميل صغير.

وهنا أردأ ممر في كل هذه الطريق ثم يصعد إلى الضفة الشمالية فيلاقي أحجاراً أثرية متمددة تعود إلى خرائب أفاميا، ثم بعد بضع دقائق يصل إلى قلعة المضيق.

في الكم ٤٥ قلعة المضيق ـ وهي المدينة العليا (الأكروبول) لمدينة أفاميا اليونانية أفاميا سماها سولوقس نيقاتور بهذا الاسم الذي لزوجته الأميرة الفارسية التي

تزوجها في أعطاس (سوس) مدينة في مملكة عيلام، كانت مقر دارا وخلفائه، وكانت أفاميا مع إنطاكية وسلوقية من أكبر مراكز المملكة السلوقية، فقد كان فيها خزينته الحربية ومستودعات الخيل والأفيال، وقد خسرت هذه المدينة مكانتها عقيب الفتح الروماني ومع هذا فقد جعلت وقتئذ كرسي أسقفية، ولكن الفرس جاؤوها سنة ٥٤٠ واستولوا عليها وأحرقوها، وفي عهد الصليبيين جاء تناسريد برنس إنطاكية واستولى على هذه المدينة التي كان اسمها فهاميا وكان فيها في عهدهم قيادة فرسان الاستباريين، وجعلت مركز أسقفية أرمينة ثم افتتحها نور الدين محمود سنة ١١٣٩/٥٣٤ إلا أنه في سنة ١١٥٧/٥٥٢ خربت أفاميا بزلزلة حماة الهائلة وانتقلت أفاميا بعد إلى أيدي المماليك كشيزر.

وإذ إنها كانت بعيدة عن المسالك التجارية الكبيرة فقد انحطت درجتها إلى مقاطعة بسيطة تابعة لولاية حلب.

إن قلعة المضيق هي أكثر الخرائب تشوقاً فالقلعة قد قامت فوق تل عظيم جداً، وكان هذا التل فيما مضى مكسياً بصفح من الحجارة، وفي سفحه يمتد وادي الغاب المزروع الأفيح الذي يجري فيه العاصي ويضيع وسط آجام من القصب. إن سور القلعة (يعود تاريخه إلى القرن ١٣/٧) لا يزال محفوظاً، فالمدخل، وقد سد في يومنا هذا، ينفتح نحو الجبهة الجنوبية، وقد جعل بين برجين متقاربين جداً. وداخل السور قد ملئ ببيوت القرية (وفيها مدير ناحية وبرق وبريد)، ويصادف فيها السائر في كل خطوة بقايا أثرية مبعثرة وكتابات يونانية وعربية، ومن قمة الجدران منظرة جميلة نحو الغاب وجبل النصيرية وجبل الزاوية، وفي الجنوب الشرقي من القلعة باب قديم له أروقة أمامية كورنثية وفي جنوبها الغربي مسجد صغير من الأسلوب البسيط والرشيق، يعود إلى العهد العثماني.

وفي غربي القلعة سد ممدود في عرض أحد روافد العاصي وفيه حواجز ذات أبواب متحركة إذا حجزت الماء تحدث بحيرة حقيقية غزيرة السمك.

(أما بقايا أفاميا فهي تمتد إلى الشمال قليلا (٢كم) وعلى طرف هضبة تشرف على الضفة اليمنى للعاصي. إن الزلازل الأرضية واتخاذ الأنقاض كمقالع لم يبقيا منها إلا شيئاً قليلاً. والسور القديم الذي بقي منه بضعة أنقاض، كان يؤلف مربعاً ذا

محور كبير ممتد من الشمال إلى الجنوب. ولا يزال بالإمكان تتبع آثار شارع ذي أعمدة طوله نحو ٥٠٠ متر في منتصفه بناء مهدوم يدل على المكان الذي كان يأتي إليه شارع عمودي ويقاطعه، وكثير من الجهات لا تزال ممتدة على الأرض وأكثر المباني سلامة هو الباب الشمالي، وأطلاله تحفظ كتابة لاتينية.

من قلعة المضيق إلى طريق حلب ـ لحبان صالحان للسيارات في الفصول الحسنة يوصلان إلى طريق حماه حلب، والجنوبي منهما يمر بكرناز (كل ٩) وبكفر زيتا (كم ٢٠) فيبلغ الطريق المذكور عند مورك (كم ٢٩) واللحب الثاني يمر بكفر بنودا (كم ١٠) والهبيط (كم ١٥) فيبلغ الطريق عند خان شيخون (كم ٢٥).

٣ ـ سلمية وقصر ابن وردان ـ (إلى الشرق والشرق الجنوبي) يمكن الوصول إلى قصر ابن وردان من حماه مباشرة عن طريق معر شحور وثكنة الحمراء (نحو ٥٥كم) ماراً ببقاع خربة مكتئبة بعثرت فيها صخور حرية (لحب وعركئود) ولهذا يفضل عليه المسلك الذي سنذكره الآن، وهذا المسلك وإن كان أطول (١٣٠كم) لكنه أقل إيراثاً للملل ناهيك أنه يمكن من الاستفادة من لحب جيد حتى سلمية التي يمكن أن يحصل فيها على دليل.

ولابد لقاصد قصر ابن وردان من استصحاب زاد وماء للطريق.

إذا خرج من حماه يصعد إلى الهضبة التي تشرف على الضفة اليمنى للعاصي. ووراءه لمحة نظر جميلة نحو المدينة. على اليسار جبلان توأمان يعرفان باسم (قرون حماه) عليهما ضريح زين العابدين. وأمامه المنحدرات الأولى لجبل وعلى يمين جبل الأربعين (٦٩٣م) والطريق هنا مطردة المنظر ودون عارض يستحق الذكر بعد المسيل النضر المسمى بقصارين (في الكم ٥).

في الكم ١٤ على اليمين كافات، ومن ثم يقترب السائر تدريجياً من جبل العلا (على اليسار) وعلى اليمين (في الكم ٢١) ضيعة تل الدرة ثم بضعة طواحين ثم يبلغ فجأة المدرسة الزراعية ثم الدور الأولى لسلمية.

في الكم ٣٢ سلمية ـ مركز قضاء ـ صار لها بعض المكانة من الوجهة الزراعية، بفضل روح التشبث الذي للنواة الإسماعيلية القاطنة في هذا القضاء (نحو

١٥٠٠٠) ويزرع هنا خاصة القطن وسلمية تعد أيضاً مركز تربية جياد الخيل الأصيلة وفيها مدرسة زراعية ومركز برق وبريد ومخفر درك ومستوصف.

التاريخ - هي قديمة، وتدل كمية كسور الأحجار الأثرية التي يعثر عليها أنها كانت ذات مكانة، لاسيما في العهد النصراني، أما في العهد العربي فإنها لم تذكر إلا بحكم أنها كانت مقر فرع من الأسرة العبادية ومقر الرؤساء الأولين للإسماعيلية (القرن ١٠) وقد ولد في سلمية أول الخلفاء الفاطميين عبيد الله ومن ثم فقد انحطت مكانتها تدريجياً.

لا تبدي هذه البلدة من الناحية التجوالية أي متعة، بحكم أنها مبنية بناء جافياً، والمباني القليلة التي فيها ليس فيها ما يسترعى النظر فمن هذه القلعة التي أمام السرايا لم يبق منها سوى نصفها المختبئ وراء الدكاكين، و (المسجد) المبني بالأحجار الحرية في تاريخ ١٠٨٨، وحمام جميل قديم، لاسيما وقد ظل سالماً حتى الآن.

والشيء الوحيد الجالب للنظر في سلمية هو هذه الكميات التي لا تحصى من الأنقاض البيزنطية التي توجد فيها.

نخص بالذكر منها أطلال بازيليكا فيها أعمدة ضخمة من الحجر الحري (البازلت) ومن الحجر المجنب (الغرانيت) شديدة التعثر والخراب ويمكن أن يقال إنه ما من دار إلا وتجد بين جدرانه قد أقحمت كتابات أو نقوش مزخرفة.

إلى الشمال الغربي على بعد نحو ٣كم وعلى ذروة أكمة صغيرة قام بناء صغير من الحجر الحري يدعى مقام الخضر، لا توازي زيارته تعب الصعود إليه، ولو أن فيه منظراً شاملاً نحو جبل العلا.

قلعة شميميس، إلى الغرب من مقام الخضر وعلى بعد كيلو متر، خرائب قلعة شميمس تعد أكثر إمتاعاً وفيها صعود ليأخذ الزائر دابة ودليلاً من سلمية، تشغل القلعة ذروة مخروط من الصخر الكلسي قد غطته دفقة ثخينة من الحميم الذي جزئ قسمه الأعلى على شكل حلقة جعلته يؤلف خندقاً ذا منحدرات.

أما جدار سور القلعة فهو من الحجر الحري قد هدم معظمه، وفي وسط باحة القلعة ترى اسراباً من الحمام يتكاثر بسرعة وسط فوهة البركان التي اندفع منها

الحميم، ولا يعلم على الضبط تاريخ هذه القلعة، ولا شك أنها من آثار العرب فقد كانت موجودة في القرن ١٢/٦ ، لكنها رممت بعد ذلك عدة مرات.

من سلمية إلى مشرفة وحمص

لأجل الذهاب من سلمية إلى قصر ابن وردان، يسلك طريق تل عدا وتل سرنان ثم في الكم ١٨ ضيعة حصين، ثم في الكم ٣٥ ثكنة الحمراء التي يقر فيها في الفصول الحسنة حامية عسكرية لمراقبة البدو، وفيها يجد المحتاج ماء للشرب، ومن الحمراء يسير نحو الشمال الشرقي مخترقاً قرى كانت جهة مهجورة خلال الحرب ثم أعيد عمرانها سنة ١٩٢٦/١٣٤٤ . ١٩٢٧/١٣٤٥ يقطنها أعراب متحضرون، ولا يزال حتى يبلغ خرائب (قصر ابن وردان) الواقعة وسط البراري الفسيحة. في الكم ٥٦.

إن خرائب قصر ابن وردان تعد من أكبر بلاد الشام الشمالية جلالاً وربما كانت أكثرها استرعاء للأنظار وقبل الوصول إلى المباني يظن القادم أنه يشرف على بقايا مدينة قديمة ثم يتبين له بعد أن كل ما رآه لا يزيد عن ثلاثة مبانٍ، لا تشبه قط أياً من أبنية بلاد الشام. لأنها قد شيدت على نفس الأسلوب التي شيدو به المباني التكية في القسطنطينية على عهد يوستينانوس وبنفس المواد.

وهذه المباني الثلاثة هي: كنيسة مربعة ذات قبة، وقصر عظيم، وكلاهما ما برحا سالمين بعض السلامة ١٩٣٠/١٣٤٨ وأخيراً بناء عسكري واسع لعله ثكنة وهو خراب بالمرة أو يكاد، وقد شيدت هذه المباني بالآجر أصفر اللون ذي قطع كبيرة وبالأحجار الحرية، وكلاهما قد عملت بملاط قوي جداً. وربما استعملوا للتزينيات الداخلية أحجاراً كلسية بيضاء أو رخام، وتواريخ البناء قد برزت على اثنين من هذه المباني، ٥٦١، ٥٦٤ وعليه يكون ذلك في عهد يوستينانوس ولا ريب أبداً في أن كلها قد شيدت وأكملت خلال بضع سنوات.

والكنيسة واقعة قرب الصيب الغربي للهضبة، وهي قد كانت بناء عظيماً ذا ثلاثة دهاليز من التي تشرف على جوف الكنيسة ويكون لكل منها ثلاث فتحات،

وكان للكنيسة قبة عظيمة علوها عشرون متراً والأقسام التي لا تزال باقية من هذه الكنيسة هما بقايا الطابق الأسفل (ما خلا التي في الزاوية الجنوبية الغربية) وجدران الدهليز ذو الفتحات الثلاث في الجهات الشمالية والغربية، والأقواس الشمالية للدهليز المذكور وجدران المحنية والقسم الأول من نصف قبة، والقوس الكبير الذي يحمل الجهة الشمالية من الدهليز، وتحت الجميع نصف الباندانيف الشمالي الشرقي مع قطعة من الجدار المجاور له في الغرب. والمرتسم الخارجي لهذه الكنيسة على شكل مستطيل أبعاده ١٨.٥×١٥م مع برج صغير في الزاوية الشمالية الغربية.

في داخل الكنيسة صحن متطاول (٦.٦٠ في ١٠.٤٦م) ينتهي بحنية عميقة مدورة تدويراً نصفياً، وقد حجبت من الخارج بالجدار المسطح الذي في جهة الشرق، وثمة حنايا جانبية تمتد في كل الجهات وفي طول الجدار الغربي الذي هو بالنتيجة المستعرض لغيرها. والجناح الغربي أكثر ما يشبه النارتكس (المكان المغطى في مدخل كنيسة) ولا ينفتح على الحنية إلا من قوس واحد، والأجنحة الجانبية تنتهي في الشرق بغرف كبيرة تجنح الحنية، ومرتسم طابق التريفوريوم هو كالطابق الأرضي أو يكاد إلا القسم الذي فوق النارتكس فإن الدهليز ينفتح نحو الكنيسة الوسطى بأقواس متماثلة للتريفوريومات الجانبية وخمس من النوافذ الكبيرة المقوسة قد نابت عن الأبواب والنوافذ الصغرى في الطابق الأسفل.

وقد كان يعلو هذا المرتسم الطويل الداخلي قبة محمولة على أقواس في جهة الشرق وعلى دعائم ثخينة في جهة الغرب في وسط الكنيسة، وذلك من الحنية والنارتكس إلى الأقواس الثلاثية للأجنحة وللتريفوريوم، وقد كان مجموع عرضها يساوي عرض الصحن. وهكذا كان يتألف مربع من الأقواس ليحمل باندانيفات القبة، وكل هذا من قواعد الزيارة البيزنطية.

أما أطلال القصر فتتألف من كتلة بناء عظيمة نهضت من طابقين فوق الركام المهدومة وليس ثمة إلا كسرة صغيرة من البناء الأصلي فالجبهة تلتفت نحو الجنوب، وهي أكثر البناء سلامة. وكان القصر مبنياً حول باحة مكشوفة تكاد تكون مربعة الشكل، والمباني التي في جنوبي الباحة كانت أعلى من التي في بقية الجهات، والكتلة المتوسطة المؤلفة من طابقين ذوي ردهات معقودة، لا تزال قائمة

وفي زوايا الموقع الكبير قد تهدمت الأطراف وأصبحت ركاماً من الأنقاض، والجهات الشمالية والشرقية من الباحة تعرف بالأكوام المؤلفة من الأنقاض، وبيد أن الجهة الأمامية التي يكاد أن يكون كلها متهدماً يظهر فيها دعامتان ضخمتان إحداهما مرتفعة وذات طبقتين والثانية ذات طبقة واحدة وعليهما قواعد عقود لا تزال مرئية على الجهات.

أما الخارج فكاد أن يكون مربعاً (٤٤م × ٥٠) وطول كل الباحة الداخلية على الجانب ٢٥م والقسم الجنوبي مؤلف من غرف كبيرة والجوانب الممتدة نحو الشمال كانت دهاليز طويلة مؤلف كل منها من صفين من الغرف المتوسطة التي مساحتها واحدة وتتصل بعضها ببعض.

والجانب الشمالي من الباحة كان مسدوداً ببناء أضيق وبعرض غرفة واحدة ولعله كما يظهر باب مزدوج لدخول الحيوانات.

أما بناء الثكنة الذي فعل فيه الهدم كثيراً يتراءى على شكل ذي سور مزدوج ولكن الجدار الداخلي من هذا السور لا يوازي الجدار الخارجي في كل امتداده. والمسافة التي بين الجدارين كانت ملآنة بغرف معقودة ذات علو مختلف وكان في الداخل باحة مربعة (٣٦م × ٣٨م) وفي الوسط بناء مرتفع ذو طابقين وعقود عديدة ولا يمكن تحديد الغاية منها. ولا يمكن معرفة سوى باب المدخل الكبير وهو على الجانب الشمالي، وعلى عتبته كتابة كبيرة، وسوى الزاوية الشمالية الشرقية للسور الخارجي وبضعة قطع من البناء المتوسط.

اصطبل عنتر: إلى الشمال الشرقي من قصر ابن وردان وعلى بعد عشرة كيلو مترات يمكن أن يبلغ الزائر قلعة اسمها (اصطبل عنتر)، تاريخها حول سنة ٥٥٧ - ٥٥٨م، وهذا الحصن القديم يمتد في مساحة ذرعها ٧٥م × ٨٠م وفي كل من زاوياه الأربعة أبراج مربعة، وفي وسط الجانب الجنوبي برجان يجنحان المدخل، وفي وسط الجدار الشرقي برج مربع واحد. وكان الجدار مسنوداً في داخله بدعائم تنتهي بأنصاف أقواس وبارزة نحو ثلاثة أمتار بينها عدد كثير من أقواس التدعيم. وثمة دعامتان ضخمتان تشبهان الأبراج كانت تجنح المدخل في الداخل. وفي جوف الجدار لم يبق سوى ركام مختلطة من الأنقاض. وقرب الجدار الشرقي وفي جنوبي المحور

الشرقي الغربي في القلعة يوجد بناء ذو أقواس يحتمل أنه كان كنيسة ونحو منتصف الجدار الشمالي كان يوجد بناء مقسوم إلى قسمين ومبلط بفسيفساء بيضاء. وأحدهما كان يحتوي على صهريج والجدار الجنوبي ونصف الجدار الشرقي لا يزلان سالمين تماماً. والأبراج في المدخل وفي جنوبي البناء قد تهدمت، إلا أن الباب الذي شكله مستطيل، لا يزال محتفظاً بعتبته الباقية في المكان وعلى كتابة تحوي التاريخ المذكور أعلاه.

من قصر ابن وردان إلى خرائب الأندرين (٢٥كم، إلى الشمال الشرقي ٥٠ دقيقة، في السيارة) (لحب غير جيد) يجتاز اللحب بضعة حقول زراعية ضعيفة ومحجرة، وهضبة صغيرة صخرية تحتوي على بقايا جدران أثرية، ثم يهبط في منخفض، ثم يدخل في أرض ذات مسيل ومستورة بأحجار ضخمة، تاركة في الغرب على بعد قليل ضيعة نصف خراب وقبل الأندرين بقليل يرى السائر عدداً كبيراً من كواكب متتابعة لقناة أثرية محفورة في وسط الصخر الصلد.

٢٥كم، إن خرائب الاندرين، وكان اسمها القديم، تشغل مساحة واسعة في سيف البادية وهذه المدينة التي معظمها مبني من الآجر المجفف، ليست الآن سوى أنقاض مركومة وأطلال مهدومة ولم يبنَ فيها بالحجر إلا المباني المهمة. وهذه البقعة الغربية تحتوي على مجموع غريب من خرائب مدينة بيزنطية صغيرة مسورة لا تزال خططها ماثلة كما كانت حينما هجرت في عهد قطنة عقيب الفتح العربي.

وحينما يقترب الزائر من هذه المدينة يرى أبنية تشبه الأبراج شيدت من الأحجار الحرية. قد انتصبت منفردة أو مجتمعة في أحياء مختلفة وكانت هذه الأبنية زوايا جدران العمائر الكبيرة التي أحيطت بخليط من الأنقاض.

أما المباني التي بقاياها عظيمة فهي الثكنات، وهذه جدران طوابقها الأرضية ما برحت قائمة على أنها مدفونة تحت أنقاض الطوابق العليا. ثم كنيسة عظيمة ولعلها الكاتدرائية، ثم كنيسة أخرى في جنوبي المدينة يحيط بها جدار ثخين، ثم حوض ماء جسيم.

ويوجد بقايا عديدة لمبانٍ أخرى من الآجر المشوي يصعب درسها. ويوجد أيضاً كنيستان متلاصقتان مكرستان إلى الملائكة العلويين، وأخرى قرب الجدار

الشرقي وواحدة أصغر في الجنوب الشرقي من الثكنات ومعبدان (كابيلا) أحدهما مربع الشكل كان له قبة والثاني كان مستطيلاً. وتجاه الثكنات بناءان ذو تخطيط غير قياسي تظهر في أحدهما غرفة مدورة وأخرى متطاولة منتهاها على شكل نصف دائرة مما يدل بلا ريب على أنه كان حماماً، وثمة كثير من الخرائب والبقايا الناشئة من الدور الخاصة التي يخيل للرائي أنها قد شيدت في أكثر الأحوال حول باحة، ويصادف أحياناً صهريجاً محفوراً تحت الباحة، وثمة أيضاً طريقان أحدهما شمالي جنوبي والثاني شرقي غربي يخيل للرائي أنهما كانا موجودين على التقريب في منتصف المدينة.

أما سور المدينة فلا يزال سالماً في كثير من الأماكن وحصن بأبراج عادية بعضها مدور وبعضها أبراج زوايا. وهذا السور مبني بقطع رخام ضخمة مستطيلة، تسنده عضادات في كل ٣,٥ ـ ٤ أمتار.

أما الثكنات (٥٥٨) فتؤلف في وسط المدينة بناء مربع الشكل طول كل من أضلاعه ثمانون متراً يستدل من تخطيطه على الغاية العسكرية المتوخاة منه، وهذا البناء مستطيل الشكل وذو مدخل واحد في الجهة الغربية وأبراج زوايا مثمنة الأضلاع وأبراج مربعة في وسط الجهة الشمالية والجنوبية، وفي منتصف الباحة الكبرى كنيسة ذرعها ٢٠ في ١٥ متراً.

أما الكاتدرائية وقد سميناها بذلك لأنها أكبر الكنائس ـ فهي تقع في الجنوب الغربي من الثكنات قرب مصلبة الجادتين الكبيرتين. وما تبقى من هذه الكاتدرائية يجعل في الإمكان عدها بين النماذج الكلاسيكية للبازيليكات، وهي تحتوي فضلاً عن ذلك على صحن وسطي كبيرة قد فصلت عن الأجنحة الجانبية بثلاثة أقواس محمولة على دعائم متطاولة.

وقد كانت الحنية مثقوبة بخمس نوافذ ولكن لم يبق منها في المكان سوى جدران الدياكونيكوم والجدران الشرقية والجنوبية من البروتريا، وفيها قسم من الخيمة المنحنية في الخارج إلى الداخل وقسم من الجدار الغربي ومن الزاوية الجنوبية الغربية أما جميع ما تبقى فقد تهدم.

والكنيسة الجنوبية تعد أكثر كل مباني الأندرين سلامة كانت كلها مبنية بالأحجار ماعدا سقوفها فقد كانت من الخشب. وماعدا هذا فحولها جدار صيانة مبني بحجارة ومدعوم بعضادات وأبراج، وهذا ما يجعلها تعد في صف الكنائس المحصنة في وسط المدينة. أما تخطيطها، فيشبه مخطط الكاتدرائية كثيراً، لولا أن انحناءه غير مرئي من الخارج بقدر تلك وأنه غير مثقوب إلا بثلاث نوافذ. ولا تزال الحنية سالمة مع الغرف الجانبية حتى الطابق الأول ومع الدعائم أيضاً، ولكن القبة النصفية قد زالت بالمرة والقسم الأكبر من الجدار الشمالي لا يزال سالماً ومثله قسم من الجدار الجنوبي والزوايا الغربية للصحن، والدعائم ذات الشكل الصليبي التي في الطرف الغربي الأقصى لا تزال محفوظة، ولكن الجدار والأبراج الغربية قد خربت بالمرة وقد بُني مقابل الغرفة الجانبية الشمالية بناء ويكاد يكون كله سالماً ويظهر أنه كان ضريحاً، وخارج الكنيسة مستطيل الشكل، أما الداخل فيتراءى بشكل الصليب.

وفي جنوبي المدينة وخارج الأسوار يوجد خزان ماء مربع الشكل ذرع كل ضلع منه ٦١ متراً وزواياه تقع على النقاط الأربع. وقد بني هذا الخزان بأحجار كلسية يظهر على بعضها زخرف روماني وليس له الآن من العمق سوى خمسة أمتار، ولكنه كان فيما يظهر في الأصل على عمق سبعة والقسم الأعلى من الكورنيش يؤلف ممشى عريضاً دائراً ما دار النهار، وفي الخارج صف من الحجارة الضخمة المستطيلة الشكل كانت تمنع مياه السيول من الوصول إلى الخزان.

من الأندرين إلى حلب عن طريق خناصرية وأسرية

من حماه إلى دير شميل (٤٠ كم، لحب) يتجه اللحب نحو الغرب ويسلك تخطيط سكة أثرية. في الكم ٧ شيخاني. في الكم ١٥ جسر على نهر الصاروت. في الكم ١٦ المجدل، شمالي الطريق. في الكم ٢٥ عصيوليت. في الكم ٣٥ رملة، وهنا يجتاز اللحب رصيفاً رومانياً يمتد من الشمال إلى الجنوب ويلاقي في الشمال أفاميا وفي الجنوب طريق حماه. مصياف ص في الكم ٤٠ دير شميل (ص) وهي على طريق مصياف. مرداش.

عودة إلى طريق حماه – حلب

يغادر طريق حلب حماه من الضفة الشمالية تاركاً على يمينه المستشفى وهو يجتاز المقابر ثم يصعد بلطافة إلى الهضبة التي فيها يكشف قسماً من مدينة حماه، وهو بعد أن يجتاز السكة الحديدية (في الكم ٥٨) ممر على مستوى الأرض، يهبط بطريق رديئة إلى ضفاف العاصي حيث يحاذيها في سيره برهة من الزمن، وثمة ناعورتان، هذا إلى أن يصل إلى خط السكة الحديدية، في الكم ٥٩ ممر تحت السكة، وفي هذا المكان يستعير الطريق قعر وادٍ ويتعرج فيه ثم يفضي مرة أخرى إلى الهضبة.

في الكم ٦١ قمحانة بيوتها قباب مخروطية. ثم يجتاز بعدها خراً طريقاً كئوداً ثم يفضي إلى سهل أفيح ويحاذي في مسيرة السكة الحديدية على اليمين قرون حماه. في الكم ٦٤ محطة قمحانة. في الكم ٦٩ طيبة العلا، قرية في مدخلها مسجد ذو مئذنة.

ومن ثم يقل الزرع في السهل تدريجياً. على اليمين وعند (١٨كم عن حماه) صوران وهي شورون القديمة، وفيها قبة الشيخ أربعين التي قامت مقام كنيسة الأربعين شهيد، وعلى بعد ٣ كم إلى الشمال الغربي تل ماصين الذي حققته بعثة مسنيل دولويسون منذ سنة ١٩٣٠ وهو تل مربع الشكل ذرعه في كل جهة ٢٠٠م وعلوه ١٢م، كان فيما مضى مدينة ميتانية (في منتصف الألف الثانية ق.م) ماخلا بعض أماكن فيها أطلال مدن أقدم من ذلك العهد بكثير (من أواخر الألف الثالثة) على اليسار جبل النصيرية يسد الأفق الغربي.

في الكم ٨٢ مورك وهي مورموريك القديمة فيها تلان أحدهما عظيم وذو طبقتين وفي داخل القرية بضعة قواعد أعمدة أثرية. ثم يترك على اليسار لحباً صالحاً للسيارات يتصل في الكم ٢٩ بقلعة المضيق.

ويظل منظر هذه البقاع مطرداً مملاً، إلا أنه يلمح من حين إلى آخر على يساره وادي الغاب ويظل الطريق إلى ما بعد خان شيخون بدون أي عارضة صالحة للذكر، سائراً في هضبة متموجة قليلاً يتخللها بضعة تلول.

في الكم ٩٠ خان شيخون وهي آشخاني القديمة، سكانها ٣٠٠٠، ودورها قباب مخروطية في حضيض تل شاهق عظيم، وهي أكثر قرى هذه البقاع لفتاً للنظر.

وفي جنوبي القرية خان جميل (من القرن ١٤ من عهد المماليك) وفي شمالها التل العظيم ذي المخطط البيضوي الشكل، ذرع قطره ٢٠٠ إلى ٢٥٠ م في قاعدته وعلوه ٢٥م وقد وجد الكونت مسنيل دوبويسون خلال التنقيب الذي أجراه سنة ١٩٣٠/٣٤٨ بقايا قرى من بدء الألف الثانية قبل الميلاد. وفوقها سطح مبني بناء صناعياً يحمل أنقاض مدينة تنسب إلى تحوتموسيس الثالث (القرن ١٥ ق.م) وأخيراً إن الطبقات العليا مؤلفة من أنقاض أربع مدن يركب بعضها فوق بعض من العصر الحديدي (القرن ٥-١٠ قبل الميلاد).

وعلى بعد ٤كم إلى الشمال الغربي مكان خال كانت فيه (كفر طاب) أو كفر طابو، وهي مدينة ذكرت كثيراً في تواريخ الحروب الصليبية - في الكم ٤ إلى الغرب تل حاس وفي غربه على بعد ١ كم مدفن من الألف الثالثة قبل الميلاد - وفي الكم ١٠ إلى الشمال الغربي مارطارش وهي مغار طاريشا القديمة، وفيه أطلال ضريح الشيخ محمود وأطلال مسجد كان فيما مضى كنيسة باسم الأربعين شهيد.

عودة: يترك على اليسار لحباً صالحاً للسيارات يتصل بعد ٢٥كم بقلعة المضيق. ثم تصير الطريق فجأة صخرية، على اليسار في القسم الأول التموجات الرخصة لجبل الزاوية مع أطلال أثرية فوق رابية صغيرة على اليسار تحيط بها غابة من شجر الزيتون وتصير البقاع تدريجياً جافة وكئيبة.

في الكم ١١٤ معرة النعمان - (نزول المسافرين عند الوجهاء، ليس فيها فندق ولا مطعم) مدينة صغيرة سكانها ٥٢٥٠ مسلمون، مركز قضاء تابع ولاية حلب، برق وبريد ومخفر درك.

التاريخ: يظن أن المعرة مبنية مكان القديمة وكان اسمها لدى الصليبيين وقد نسبت إلى أحد الصحابة إلى النعمان بن بشير الذي كان حاكم هذه الأنحاء في زمن معاوية، وقد استولى المسلمون على المعرة سنة ١٦هـ/٦٣٧م وصار يتردد ذكرها في تواريخ العرب كمركز ذي مكانة وخصب، تحدق به البساتين والزروع الثرية. وقد

تبعت المعرة خلال العصور المتوسطة كلها نصيب حماه وحلب، وتعاورتها الأيدي. وقد دكت تحصيناتها مرات عدة وهوجمت ونهبت أيضاً لاسيما من قبل البيزنطيين سنة ٩٦٨/٣٥٨ ثم من قبل الصليبيين (٢١ كانون أول ٤٩٢هـ/١٠٩٨م وقد ذبحوا فيها عشرين ألف نفس، وبعد أن استردها زنكي سنة ١١٣٧/٥٣٢ ظلت تابعة للأيوبيين ثم إمارة حماة في عهد المماليك. وفي عهد الترك كان فيها أمير بلدي ظل مستقلاً خلال القرن ١١ هـ/١٧م وقد اشتهرت المعرة بأنها وطن الشاعر العربي الكبير أبو العلاء المعري (المولود سنة ٩٧٣/٣٦٣ الذي لا يزال يشك في صحة قبره.

البلدة الحالية تشبه إلى حد ما حلب، بقسوة دورها المبنية بحجارة سنجابية والمحاطة بحدائق مغبرة، أما السوق فكثير الحركة وهذا السوق مع اختلاف صف الأقواس الممتد تجاه الجامع الكبير لهما خاصة محلية ذات جاذبية تستحق الزيارة. ويوجد أيضاً شوارع مسقوفة بعقود كما هو الحال في القدس وتكثر الأنقاض الأثرية خلال تلك الشوارع ولاسيما تيجان أعمدة كورنثية من كل النماذج المعروفة، وقد حفظت المعرة من العهد العربي بنائين أثريين فخمين من صنع مهندس معمار واحد وهما مئذنة الجامع الكبير (أواخر القرن ١٢) تماثل بعض مآذن حلب، والجامع نفسه مبني للمرة الثانية وفي صحنه قبتان صغيرتان راكبتان على أعمدة أثرية مستعارة من أبنية أخرى، والمدرسة الشافية ١١٩٩/٥٩٦. وهذان البناءان يمكن أن يعتبرا نماذج للمدارك الريازية في بلاد الشام الشمالية في عهد الصليبيين، وفي الطرف الشرقي من المعرة خان كبير من القرن ١٦ وفي شمالها الغربي فوق أكمة أطلال قلعة.

ومن معرة النعمان لحب صالح للسيارات يتجه نحو الشمال الغربي فيصل في الكم ٤ إلى كفر روما وفي الكم ٨ إلى الحاس حيث ينتهي اللحب. والحاس نقطة سفر لكثير من الرحلات في جبل الزاوية، وفيه خرائب رومانية ونصرانية.

وعند الخروج من المعرة يميز الرائي على يساره فوق نشز (في الكم ١٢٠) خرائب دانا، في الكم ١٢٦ يبلغ بابيلا وهي على اليمين، فيها دعائم وعتبات أبواب وأنقاض أثرية مبعثرة على الأرض. ومن بابيلا يمكن أن يبلغ على يساره مجتازاً

الحقول المزروعة الخرائب المهمة المسماة جرادة ورويحة الظاهرتين للعيان وسط الصخور الجرداء .

في الكم ١٢٨ خان السبيل. وفيه خان محصن من القرن ١٠/١٦ ـ في الكم ١٣١ على اليمين معرة دبسة، ثم بعدها بقليل، على اليسار جوبر وفيها تل وبرج.

في الكم ١٤١ سراقب قرية كبيرة ـ يترك على اليمين طريق حلب القديم المار بخان طومان.

في الكم ١٤٦ أفتر ـ في الكم ١٥٢ تيزر ـ في الكم ١٥٦ تفتناز، وهنا يلاقي طريق اللاذقية ـ حلب .

في الكم ١٧٦ أورم الصغرى، وهنا يلاقي الطريق الحديثة الذاهبة من حلب إلى الاسكندرونة في الكم ٢٠٢ حلب (ساحة باب الفرج).

هذا وثمة طريق ثانٍ من سراقب، كان المستعمل قديماً ثم أهمل وتشعث يمر بخان طومان فبعد سراقب يلمح عن بعد شاسع سرمين تظهر كلطلخة شهباء ـ في الكم ١٥٤ أو ١٥٧ قريتان لهما قباب مخروطية، وبعدها على اليمين يظهر رويداً رويداً في الأفق جبل النبي عيسى المشرف على قنسرين وعلى هذا الجبل ضريح صغير ذو قبة، وعلى اليمين واليسار قرى عديدة.

في الكم ١٦٩ الزربة ـ يترك على اليمين (نحو الجنوب الشرقي) لحباً صالحاً للسيارات في الفصول الجافة يفضي إلى برقوم في الكم ٤ ثم إلى خرائب قنسرين في الكم ١٠ ومن ثم تزداد رطوبة الأرض كلما اقترب من نهر قويق.

في الكم ١٣٧ خان طومان، وفيه خانان قديمان من القرن ١٣/٧ و ١٦/١٠ ثم تصير الطرق ذات تلعات عديدة وتجتاز على التوالي أودية ثم تصعد ـ في الكم ١٨٣ على اليسار حوش خراب، ثم تترك الطريق الأرض الوعرة وتدخل في سهل خصب ثم تعود للصعود إلى نشز خفيف الارتفاع أمامه على اليمين وفوق عرفة الشيخ سعيد.

في الكم ١٨٥ الأنصاري. وفيها جامع وضريح ذو قباب من القرن ١٥، ومن ثم ينكشف كل سهل حلب والبساتين المحدقة بها، وتتجه الطريق نحو منحدر طويل (فيه منظر جميل).

ثم يرى على يساره في سفح رابية صغيرة ضريح الشيخ محسن (من القرن ١٢) أحد أعقاب النبي محمد، ثم بعد أن يجتاز ممراً فيه عطفة صعبة، أطلال مشهد الحسين (من غرة القرن ١٣). ويتقدم بعدها مجتازاً أشجار الزيتون. ويترك في الكم ١٩١ على اليسار. طريق حلب. الاسكندرونة. ثم يبلغ فوراً أوائل دور حلب. في الكم ١٩٣ حلب.

obeikandl.com